ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Jahina Abdul-Kadhim Saad Abboud

Prof. Majeed Tarish Abid (PH Dr.)

Wasit University
College of Education for Humanities

Email:
std2024208.Juhayna.ab@uowasit.edu.iq
mtarish@uowasit.edu.iq

Keywords:

Context, Legislation, Analogy

CC BY

Article info

Article history:

Received 30.Oct.2024

Accepted 18.Nov.2024

Published 10.May.2025

The effect of the legislative context on the significance of the Quranic analogy A study in light of Shiite interpretations

A B S T R A C T

Context indicates connection, sequence, succession, and consistency. That is: the succession of words contained in one context in meaning; A word should not be interpreted with a meaning that contradicts its structure. Context has an important function in understanding Quranic texts, investigating the purposes of Quranic words and structures, and clarifying their meanings. Context is what reveals the ambiguity of meaning and directs it.

The term “Sharia” is applied to all the doctrinal and jurisprudential issues and rulings that regulate the lives of people, and this division was one of the requirements of the classification, as the curriculum consists of all these issues and they constitute the law of God.

The analogy was mentioned in the Holy Qur’an in the legislative context, and the legislative context was the revealer of this analogy and explained it. We found this revelation among the Shiite interpreters of the Holy Qur’an in a large number of Qur’anic verses that were mentioned in the legislative context in the Holy Qur’an.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss1.4149

أَثَرُ السِياقِ التَشْرِيْعِيِّ فِيْ دَلالَةِ التَشْبِيْهِ القُرْآنِيِّ
دِراسَةٌ فِيْ ضَوْءِ تَفاسِيْرِ الشِيْعَةِ

الباحثة: جهينة عبد الكاظم سعد أ.د. مجيـد طـارش عبـد
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث

يدلّ السياق على الاتّصال والتسلسل والتتابع والاتّساق؛ أي: تتابع الألفاظ الواردة في سياق واحد في المعنى؛ فلا تفسَّر لفظة بمعنى يتناقض مع تركيبها، وإنّ للسياق وظيفة مهمّة في فهم النصوص القرآنيّة، وتحرّي مقاصد الألفاظ والتراكيب القرآنيّة وبيان معانيها، والسياق هو الذي يكشف عن غموض المعنى ويوجّهه

ومصطلح الشريعة يطلَق على كلّ المسائل والأحكام العقائديّة والفقهيّة التي تنظّم حياة العباد، وهذا التقسيم كان من مقتضيات التبويب، فالمنهج يتألف من كلّ هذه المسائل وهي تؤلّف شريعة الله.

وقد ورد التشبيه في القرآن الكريم في السياق التشريعيّ، وقد كان السياق التشريعيّ هو الكاشف لهذا التشبيه والمبيّن له، وهذا الكشف قد وجدناه عند مفسّري القرآن الكريم من الشيعة في عدد كبير من الآيات القرآنيّة التي وردت في السياق التشريعيّ في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: السياق ، التشريع ، التشبيه

التمهيد

التشريع في اللغة: قال ابن فارس: "الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة"(ابن فارس،٢٠٠١، ص٥٣٣)، والشريعة والشرعة: كل ما سن الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر، ومنه قوله تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**" قيل في تفسيره: الشرعة والمنهاج جميعا الطريق والطريق هنا الدين(ابن منظور، ٢٠٠٥، ص٢٠١٤).

التشريع في الاصطلاح: "الشريعة: كل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت"(القنوجي، ١٩٧٨، ص٤٢٤)، "وهو اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب المكلف معاشا ومعادا، سواء كانت منصوصة من الشارع او راجعة إليه" (الكفوي، ١٩٩٨، ص٥٢٤).

إن مصطلح الشريعة يطلق على كل المسائل والاحكام العقائدية والفقهية التي تنظم حياة العباد، فالمنهج يتألف من كل هذه المسائل وهي تؤلف شريعة الله(سيد قطب، ٢٠٠٣، ج٢، ص٨٤٩).

ومما تقدم يكون السياق التشريعي: هو بيان دلالة الألفاظ والتراكيب داخل النص وتحديد معانيها بوجود قرينة السياق التي تربط بين الآية السابقة واللاحقة وكل ما يتصل بالآية من معان عقائدية وأحكام شرعية.

المبحث الأول: أثر السياق العقائديّ في دلالة التشبيه القرآني

مفهوم العقيدة:

العقيدة في اللغة: "العين والقاف والدال تعود الى أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق"(ابن فارس، ٢٠٠١، ص:٦٥٤) ، والعقد: نقيض الحل، ويقال: عقدت الحبل فهو (معقود) وكذلك العهد ومنه عقدة النكاح، والعقد: العهد والجمع عقود وهي أوكد العهود(ابن منظور، ٢٠٠٥، ص٢٦٩٨).

العقيدة في الاصطلاح: لها عدّة معان وكلها تصب في مضمون واحد، فالاعتقاد بالدين الإسلامي شريعة وعقيدة، ومعناها أن تعقد قلبك على ما كلف الله به عباده بالدليل واليقين(الشافعي، ١٤٢٢، ص١٢)، "والعقائد جمع عقيدة وهي الحكم القلبي المتعلق بأصول الدين"(العرياني، ص٢١).

وقد وردت في القرآن الكريم مجموعة من الآيات القرآنية التي كان فيها التعبير القرآني تعبيرا بليغاً يتضمن التشبيه، وهذا التشبيه كان يدل على مسائل وقضايا عقديّة متنوعة بأساليب بلاغية مختلفة، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: "**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**"(سورة الأنبياء: ١٠٤)، في هذه الآية المباركة ورد التشبيه في السياق العقديّ، وقد كان التشبيه بالأداة "وهي ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه. وهي: الكاف، وكأن، ومثل، وشبه، وما في معناهما كحكى، ونحو، وأخ"(الطيبي، ص٢١٢)، "وعللوا إطلاق (الأداة) عليها لتشتمل الاسم والفعل والحرف"(السبكي، ج٣،ص٣٨٦)، فالأداة لا تقتصر على الكاف، وكأن بل تشمل الأسماء والأفعال من غير تحديد عددها، وحدد ابن أبي الأصبع أدوات التشبيه فقال: "وأدوات التشبيه خمسة: الكاف، وكأن، وشبه، ومثل، والمصدر بتقدير الأداة"(ابن أبي الإصبع، ص١٦١).

وقد وظف القرآن الكريم هذا التشبيه في سياقات عقديّة ليدل على الحديث عن نهاية الكون وإعادة الخلق من جديد بعد موتهم، وهذا دليل لمنكري البعث بعد الموت فالسياق ينقل السامع والمخاطب من الوصف بالسماع إلى الرؤية بالأبصار فنجد الله عز وجل شبه إعادة خلق الأجسام بابتداء خلقها أول مرة ووجه الشبه هو القدرة عليهما.

و(طَيّ) مصدر للفعل طوى على وزن (فَعْل) جاءت في سياق هذه الآية بمعنى تلاشي الكون وفناءه والسجل الأوراق المستخدمة للكتابة، وقد فسر السيد عبد الله شبر (السجل) بالطومار والملك فقال: "السجل هو الطومار، وقيل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا ماتوا"(عبد الله شبر، ١٤١٢، ج١، ص٣٢٢).

وأشار محمد جواد مغنية إلى أن السياق جاء للدلالة على القدرة على تلاشي الكون وإعادته فقال: "إن الله سبحانه يطوي الكواكب يوم القيامة على ضخامتها وكثرتها كما تطوي الصحيفة ما كتب فيها بحيث يصير كل كوكب أشبه بالكلمة أو الحرف في الصحيفة"(مغنية، ١٤٢٤، ج٥، ص٣٠٢).

وقد بين السيد الطباطبائي المعنى الدلالي للتشبيه وهو الشمولية والسيطرة والذي يكشف ذلك هو السياق (الطي) الذي جاء في آية سابقة ليدل على ذلك كما قال تعالى: "**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**"(سورة الزمر: ٦٧)، وذكر أن معنى (السجل) هو (الحجر) فقال: إنه حجر كان يكتب فيه، ثم سمى كل ما يكتب فيه سجلاً، وأشار الطباطبائي إلى دلالة التشبيه فقال: إن التشبيه هنا يدل على القدرة على فناء الكون وإرجاعه إلى أصله(الطباطبائي، ١٤١٧، ج١٤، ص٣٢٨).

وفي ذات السياق نفسه نبه الصادقي إلى أن طي السماء لا يقصد به الطي التام الحاسم بل يُقصد به تقارب الكواكب واجتماعها كما يحفظ السجل المطوي الكتابة ويقاربها فقال: "وطي السماء هو نقيض بُنيتها وإعفاء جملتها عن

صورتها اذْ تطوى حتى تجتمع بعد انتشارها وتتقارب بعد تباعد أقطارها فتصبح كالسجل المطوي وهو ما يكتب فيه والكتب هنا جمع الكتابة"(الصادقي، ١٤٠٧، ج١٩، ص٣٧٢).

واعتمد النقوي على السياق في تفسير كلمة (السجل) بأنه الدَّلو المملوء ماء فقال: "قيل أصله من المساجلة وهي من السجل وهو الدلو ملأ ماءً والمعنى كطي الدرج ... وقيل معنى الكلام أنه كما اخترعنا الخلق أولاً على غير مثال كذلك نشأهم تارة أخرى فنبعثهم من القبور"(النقوي، ١٣٩٥، ج١٧، ص٤٩٥).

وأشار الشيرازي إلى أن المعنى الدلالي للتشبيه هو الفناء والإعادة ويستفاد ذلك من السياق حيث أن معنى السجل هي "الأوراق التي تستخدم للكتابة عليها فقال أوراقاً كالطومار لكتابة الرسائل والكتب وكانوا يطوون هذا الطومار قبل الكتابة ثم إن الكاتب يفتح منه تدريجياً ويكتب عليه ما يريد كتابته ثم يطوى بعد الانتهاء من الكتابة ويضعونه جانباً"(الشيرازي، ١٤٢١، ج٨، ص٣٣٣).

والملاحظ أن التشبيه عند مفسري الشيعة قد كان معتمداً على السياق وإن تنوعت أطره وبتأمل الآيات السابقة لهذه الآية نلاحظ أنها تحدثت عن بيان الإعادة أي رجوع الأشياء بعد تلاشيها وفنائها والقدرة الإلهية على اختلال نظام السماء وإعادتها إلى بداية خلقها.

ومن التشبيهات التي جاء فيها السياق عاملاً مؤثراً في فهم وتفسير النص القرآني، هو التشبيه بالاسم، ومن أدوات التشبيه (مثل) وما في معنى مثل كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة مثل وشبه، نحو مماثل ومشابه وما رادفهما(عتيق، ص٧٩)، كما جاء في قوله تعالى: "**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**"(سورة النور: ٣٥).

فقد جعل السيد محمد السبزواري السياق وسيلة لفهم دلالة الهداية في التشبيه وليس وصف الله سبحانه وتعالى؛ فقال: "يرشده الله إلى هداه ويبينه له حتى ينجيه من الضلالة والغواية بلطفه وعنايته أو يهديه الله لنوره أي إلى إيمانه"(السبزواري، ١٤٠٦، ج٥، ص١١٦).

وربط محمد جواد مغنية التشبيه بحكمة الله وقدرته فقال: "والمراد بالنور هنا قدرة الله وعلمه وحكمته وتتجلى بالكامل في خلق الكون وتدبيره ونظامه ... وهذا مثال لوضوح الأدلة وظهورها على وجود الله"(مغنية، ١٤٢٤، ج١، ص٤٦٣).

وجعل الحائري السياق وسيلة دالة في جعل التشبيه وسيلة الهداية من خلال انتقاء التشبيه الحسي على الله فقال: "إن ماهية النور مجعولة مخلوقة لله تعالى فيستحيل أن يكون الإله نوراً فلا بد من التأويل كما بينا من أن النور لما كان سبباً للهداية والظهور فيصح إطلاق اسم النور على الهداية فقوله "**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" أي ذو نور السموات وهو هاديهم فهو لهم كالنور الذي يُهتدى به إلى طريق الخير أو طريق الحق"(الحائري، ١٤١٩، ج٧، ص٣٤٨).

واستعان السيد محمد حسين فضل الله بالسياق فجعل التشبيه خارجا في طرفيه للعلم والجهل وذلك في قوله: "وكلمة نور تستعمل للعلم كما يعبر عن الجهل بالظلمة فالله سبحانه وتعالى نور الكون بمعنى أنه لا يمكن أن تعرف الحقائق معرفة مباشرة في هذا الكون إلا به سبحانه وتعالى وإلا فإنه لا يمكن أن يكون فيه شيء غير ظلمة الجهل والضلالة"(فضل الله، ١٤١٩،ج١٦، ص٣٢٠).

وربط السيد محمد الحسيني الشيرازي التشبيه هنا بالذات الإلهية فقال: "والنور هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وهكذا الله سبحانه وتعالى ظاهر في نفسه مظهر لغيره بل إن النور الخارج رشحه من نوره سبحانه الذي غمر الكون وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ليدركه الإنسان بقدر حسه"(الحسيني، ١٤٢٤، ج٣، ص٧٠٤).

واستعان محسن قراءتي بالسياق المعرفي ليوسع دلالة التشبيه فجعله العلم والعقل والإيمان والهداية والإسلام والعصمة إذ قال: "وقد وصفت أشياء عديدة في الثقافة الإسلامية بأنها (نور) ومنها: القرآن والعلم والعقل والإيمان والهداية والإسلام والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ... فالقرآن نور لأنه كلام الله، والإسلام نور لأنه دين الله، والأنبياء نور لأنهم رسل الله، والأئمة أنوار إلهية لأنهم حُراس دين الله بعد الأنبياء، والإيمان نور لأنه رمز الارتباط بالله، والعلم نور لأنه وسيلة التعرف على الله"(قراءتي، ج٦، ص١٦٧)، فكان هذا المخزون المعرفي هو الوسيلة السياقية لتقويم المعنى والتوسع في الدلالات.

وقد اتضح بواسطة سياق الآية أن مفهومها واسع غير محدد فلها معنى معنوي وحسي فالمعنوي كنور الإيمان في قلب المؤمن ونور العلم والمعرفة والمعنى الحسي يتجسد في خلق الله الكواكب والقمر والشمس وغيرها من مصادر النور المادي.

وقد ورد السياق التشريعي بأسلوب التشبيه التمثيلي الذي عرفه ابن الزملكاني (ت٦٥١هـ) بقوله: "وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفي إلى الجلي وأدائه البعيد من القريب وذلك كتشبيهك ما استدار بالحلقة والكرة، وما أسودّ بالليل، وما بعد بلمح البصر"(ابن الزملكاني، ١٩٦٤، ص١٠٨)، وعرفه أحمد الهاشمي بقوله: "وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد حسياً كان أو غير حسي"(الهاشمي، ٢٠١٧، ص٢٣٤).

ومن أمثلة ما ورد من هذا النوع من التشبيه قوله تعالى: "**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"(سورة العنكبوت: ٤١)، فقد جعل العاملي التشبيه هنا خارجا إلى عدم النفعية من خلال عبارة أوهن التي معناها الضعف وعدم القدرة على الحماية "**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**"، فهذا البيت يضمحل بأدنى سبب، ولا يقي من حر ولا من برد، وكذلك الأصنام لا تنفع من عبدها، فلذلك كان دينهم أوهن الأديان "**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"، وإن كان هذا مثلهم فليندموا(العاملي، ١٤١٣، ج٢، ص٤٩٩).

واتفق معه القمي المشهدي بعد أن ربطه بالدين عند بعض الذين في دينهم ضعف، فقال: "ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت: دينهم؛ سمّاه به تحقيقاً للتمثيل فيكون المعنى: وإنّ أوهن ما يعتمد في الدّين دينهم"(المشهدي، ١٤٠٩، ج١٠، ص١٤٦).

وذكر الشوكاني أن التشبيه هنا جاء لانعدام النفع حيث قال: "كذلك ما اتخذوه ولياً من دون الله فإنه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا تضرّه كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً"(الشوكاني، ١٤١٤، ج٤، ص٢٣٥).

وقال محمد جواد مغنية: "إن الذين اتخذوا من دون الله أولياء هم عبدة الأوثان ومن أعرض عن الله مغتراً بمال أو علم وفهم أو سلطان ومن بغى وسعى في الأرض فساداً... وقد شبه سبحانه قوة هؤلاء ببيت العنكبوت الذي يبقى إذا سكنت الرياح وإذا هبت الرياح يصبح هباء لا عين له ولا أثر"(مغنية، ١٤٢٤، ج٦، ص١١٠).

وأشار النقوي إلى أن هذا التشبيه هو من تشبيه المعقول بالمحسوس فكما أن بيت العنكبوت لا يصلح للاعتماد عليه كذلك الولي إذا كان غير الله ... ووجه الشبه في هذا التشبيه هو أن العنكبوت دويبة تسبح في الهواء ولذلك يقال: إن أوهن البيوت بيت العنكبوت؛ إذ لا أساس لبيته؛ ولذلك لا يقيها حراً ولا برداً ولا قصد أحد إليها فإن ما سوى الله مخلوق وهو لا يقدر أن يدفع عنهم شيئاً"(النقوي، ١٣٩٥، ج١٣، ص٢١٥).

وذكر علي محمد علي دخيل أن التشبيه جاء لضعف الأصنام فقال: "ثم شبه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت أي شبه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع إليها عند الحاجة فكما أن بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئاً كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً وشراً ونفعاً"(دخيل، ١٤٢٢، ج١، ص٥٣٢).

ولو تدبرنا سياق الآية نجد أن الوهن المقصود هنا هو وهن معنوي واجتماعي، فهو لا يقي من الحر والبرد بسبب رقة خيوطه بالإضافة إلى أنه بيت خالي من المودّة والرحمة إذ إن أنثى العنكبوت تقتل الذكر بعد عملية الإخصاب بسبب كبر حجمها، وعندما تضع أنثى العنكبوت صغارها يبدأ الصغار بالاقتتال من أجل الطعام والمكان، ثم يقومون بقتل الأم ورميها خارج البيت، فهذا أوهن بيت في الوجود.

وورد السياق التشريعي بأسلوب التشبيه البليغ الذي ذكره ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) بقوله: "وهذا التشبيه المضمر لأداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض"(ابن الأثير، ج٢، ص٧٢)، وعرفه أحمد الهاشمي بأنه: "ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه وهو أكثر الأنواع بلاغة"(الهاشمي، ٢٠١٧، ٢٣٧).

ومن التشبيهات التي ورد فيها السياق التشريعي هو التشبيه الضمني، وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب(الهاشمي، ٢٠١٧، ٢٤٢).

ومن أمثلته قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**"(سورة الحج: ٧٣).

وقد بين الكاشاني أن السياق هنا يقود إلى انعدام القدرة والضعف التام حيث قال: "استماع تدبر وتفكر إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام لن يخلقوا ذباباً لا يقدرون على خلقه مع صغره ولو تعاونوا على خلقه"(الكاشاني، ١٤١٨، ج٢، ص٨١٥).

وقاس العاملي على المثل التشبيهي وفهم من خلال عبارة الطالب والمطلوب أي الصنم وما يعبده بدلالة مجيء السياق في العبادة، "بيّنت قصة كالمثل في الاستغراب فتدبروه وهو: أن الذين تدعون من دون الله تعبدونهم غيره وهم الأصنام يعجزون عن خلقه مع حقارته وهو اسم جنس واحدة ذبابة، ومنه يتعجب ضعف الطالب والمطلوب: العابد والمعبود أو الذباب والصنم أو عكسه"(العاملي، ١٤١٣، ج٢، ص٣٥٠).

أما السيد محمد السبزواري فقد فهم من السياق دلالة الاستحقار على اعتبار أن الذبابة من أحقر المخلوقات ولا يقدرون على خلقها. قال: "أي سماع تدبر وتفكر حتى تتنبهوا وتستيقظوا بأنكم أشرف المخلوقات فكيف تخضعون وتعبدون أخسها وأدناها وهو ما أنتم تنحتونه وتضعونه، وإن الأصنام التي تعبدونها ليسوا بقادرين على خلق ذباب وإيجاده مع صغر حجمه وجثته ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"(السبزواري، ١٤٠٦، ج٥، ص٤٤).

وذكر السيد محمد حسين فضل الله أن التشبيه هنا جاء للضعف والوهن قال: "تجسد هذه الآية الكريمة عجز آلهة الكافرين المطلق أمام أحقر مخلوقات الله وأحقرها في صورة رائعة تسخر من فكرة ألوهية هؤلاء الذين يعبدونهم من دون الله ... إنه مثل يريد الله للإنسان أن يدرك من خلاله سر الضعف في الإنسان المتألّه أو المؤلّه ليعي أن هؤلاء لا يملكون في ذاتهم أي شرط من شروط الألوهية بل يعيشون ضعف المخلوقين في وجودهم"(فضل الله، ١٤١٩،ج١٦، ص١٢١).

وسار الشيرازي في تفسير التشبيه هنا وفق ما سار عليه العاملي من جعل السياق في عبادة الوثن وعدم قدرته على الخلق، فقال: "ترسم الآية صورة معبرة لما كان عليه الوثنيون وما يعبدونه من أشياء ضعيفة هزيلة تكشف عن بطلان آراء

المشركين وعقيدتهم مخاطباً الناس جميعاً، وتستكمل الآية البيان عن ضعف الأوثان وعجزها المطلق وأنها ليست قادرة على خلق ذبابة فحسب بل يعلو هدى الحق في تقرير ضعف الوثن وعبدته"(الشيرازي، ١٤٢١، ج١٠، ص٣٩٨).

وبتأمل سياق الآية الكريمة نجد أن فيها مثلا ضربه الله سبحانه وتعالى يبين عجز الناس وضعفهم حتى يتبينوا خطأ تصرفهم وضلال عقيدتهم، وأن الأصنام التي يعبدونها ليست قادرة على أن تخلق أحقر حشرة وهي الذبابة حتى لو تجمع عابدو الأصنام لمساعدة أصنامهم في خلق ذبابة فإنهم لا يستطيعون، وهذا المثل ليس لعابدي الأصنام فقط إنما هو خطاب للناس عامة يدل على ضعفهم ووهنهم.

وقد ورد السياق التشريعي بأسلوب التشبيه المقلوب الذي عرفه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) بأنه "أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به"(ابن الأثير، ج٢، ص١٥٦). وقال الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) عن التشبيه المقلوب: "وأما الثاني فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه، وذلك في التشبه المقلوب وهو أن يكون الأمر بالعكس بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى الادعاء أنه أكمل منه في وجه الشبه"(القزويني، ٢٠٠٣، ص١٩٣)، وعرفه النويري (ت٧٣٣هـ) بأنه: "أن تقصد على عادة التخييل أن توهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد فتشبه الزائد به"(النويري، ١٤٢٣، ج٧، ص٤٢)، وهذه التعريفات كلها لا تخرج عن معنى المعكوس أي عكس التشبيه وجعل المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً.

ومن أمثلة التشبيه بالمقلوب قوله تعالى: "**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**"(سورة النحل: ١٧).

وفي تفسير هذه الآية ربط القمي المشهدي أن التشبيه هنا جاء للتنبيه على الإشراك بالله قال: "بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته لأن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك، فعكس تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات فحصل التّشابه وجاز جعل كل منهما مشبهاً بها، والمراد بمن (**لَا يَخْلُقُ**) كل ما عبد من دون الله"(المشهدي، ١٤٠٩، ج٧، ص١٩٣)، وبين العاملي شدة التعجب من خلال جعل سياق (الأصنام) كفاية العاقل (**مَن**) التي تستخدم له وذلك لمبالغة التعجب لانتفاء التقارب حيث قال: "أفمن يخلق هذه الأشياء وهو الله كمن لا يخلق شيئاً منها، والأصنام المخلوقة العجزة حتى جعلتموه مشبهاً بها حين أشركتموه معها في العبادة والإلهية وعبر عنها بـ (**مَن**) إجراءً لها مجرى أولي العلم لتسميتهم لها إلهاً، أو مبالغة؛ بمعنى: إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بالجماد"(العاملي، ١٤١٣، ج٢، ص١٦٦).

واستعان النقوي بسياق أسلوب الاستفهام الإنكاري وخروجه المجازي من خلال علم المعاني حيث قال: "الهمزة للاستفهام الإنكاري أي ليس كذلك والمعنى أفمن يخلق ما ذكرناه من السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والأنعام والبحار وما فيها من الموجودات وهو الله تعالى كمن لا يخلق أي: لا يقدر على خلق شيء من الأشياء. قيل المراد به الأصنام والأوثان فالآية تدل على عبدة الأصنام الذين كانوا يعبدون الجمادات"(النقوي، ١٣٩٥، ج١٠، ص١٤٥).

وهذا ما ذهب إليه محسن قراءتي حيث قال: "لا يمكن أن يتساوى من يستطيع خلق كل شيء مع الأصنام والأوثان التي لا تمتلك أي قدرة على فعل أي شيء"(قراءتي، ج٤، ص٤٨٤).

واستعان الآلوسي بالسياق النحوي وذلك لإظهار دلالة المجاز التشبيهي من خلال جعله يسير للإنكار من خلال (تعقيب الهمزة بالفاء) لتوجيه الإنكار إلى ترتب توهم المشابهة، فقد قال: "وهو تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبادتهم غيره تعالى شأنه من الأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينه سبحانه وبينه بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهراً، وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فعل سبحانه من الأمور"(الآلوسي، ١٤١٥، ج٧، ص٣٥٩).

وبتأمل سياق الآيات السابقة نجدها تحدثت عن قدرة الله وعظمته في خلقه وفي تدبير أمور الكون، وقد انتقل السياق في هذه الآية إلى التوبيخ الإنكاري لعبّدة الأوثان لأنهم بالغوا وغلوا في عبادة الأوثان فسموا الأصنام آلهة تشبيهاً لها بالخالق عز وجل وجعلوا الله جل وعلا من جنس المخلوقات ومعنى التشبه هو التوبيخ والإنكار على من يشبهون المخلوق بالخالق في العبادة والتسمية.

المبحث الثاني: أثر السياق الفقهي في دلالة التشبيه القرآني

مفهوم الفقه:

الفقه في اللغة: قال ابن فارس: "الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه، يقولون لا يفقه ولا ينقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل: لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه، وأفقهتك الشيء اذا بينته لك"(ابن فارس، ٢٠٠١، ص٧٩٤).

الفقه في الاصطلاح: قال الكفوي: "الفقه في الاصطلاح عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من الأدلة التفصيلية لتلك الأحكام، فدخل فيه بالعلم جميع العلوم، وخرج بالأحكام العلم بالذوات والصفات والأفعال"(الكفوي، ١٩٩٨، ص١٩٠).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات قرآنية فيها تعبير مجازي دل على مسائل فقهية متنوعة وبعدة أساليب بلاغية، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"(سورة البقرة: ٢٦٤).

ففي هذه الآية المباركة تشبيه بحرف الكاف "وهي الأصل لبساطتها، والأصل فيها أن يليها المشبه به"(عتيق، ص٧٨)، وقد أرجع القمي السياق في التشبيه إلى الكشف عن الزيف والزيف أرجعه إلى الرياء حيث قال: "كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رياء"(المشهدي، ١٤٠٩، ج٢،ص٤٣٧)، وهذا ما ذهب إليه السيد عبد الله شبر حيث قال: "لا تبطلوا أجرها كإبطال المنافق المرائي بإنفاقه"(عبد الله شبر، ١٤١٢، ج، ص٨٠).

ولم يخرج الشوكاني عن المعنى المتقدم واشترك معه في الزيف وعدم النفعية فقد قال: "إبطال الصدقات: إذهاب أثرها وإفساد منفعتها، أي: لا تبطلوها بالمن أو الأذى أو أحدهما مشابهين للذي ينفق ماله رئاء الناس لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة بل يفعل ذلك رياء للناس استجلاباً لثنائهم عليه"(الشوكاني، ١٤١٤، ج١، ص٣٢٧).

وفي ذات السياق أشار السيد الطباطبائي إلى النهي عن الرياء وترك المنّ عند الصدقة فقال: "لم يعلق النهي بالرئاء كما علقه على المنّ والأذى بل إنما شبه المتصدق الذي يتبع صدقته بالمنّ والأذى بالمرائي في بطلان الصدقة مع أن عمل المرائي باطل من رأس وعمل المانّ والمؤذي وقع أولاً صحيحاً ثم عرفه البطلان"(الطباطبائي، ١٤١٧، ج٢، ص٣٩٠).

وبين السيد المدرسي عدم النفعية من الصدقة لصاحبها فجعل التشبيه خارج للنهي وإن كان صرحاً مجازياً والذي قاده لذلك هو السياق الذي يبين ذلك فقال: "صدقاتهم سوف تتبخر بل وتحترق بمجرد استخدامها في سبيل السيطرة على الفقراء والمحرومين ولا تعود الصدقات سبباً لنمو المال ولا لرحمة الله في الآخرة"(المدرسي، ١٤١٩، ج١، ص٤٦٠).

ولم يخرج الشيخ مكارم الشيرازي عن المعاني المتقدمة للسياق وهي عدم النفعية والزيف حيث قال: "ويشبه القرآن الإنفاق الذي يصاحبه الرياء والمنّة والأذى بتلك الطبقة الخفيفة من التربة التي تغطي الصخرة الصلدة والتي لا نفع فيها بل أنها بمظهرها تخدع الزراع وتذهب بأتعابه أدراج الرياح"(الشيرازي، ١٤٢١، ج٢، ص٣٠٢).

وزاد الآلوسي أن الصدقة هنا تهدف للأذى والذي قاده لذلك هو سياق التشبيه الذي يتحول بالنهاية بعد الوابل إلى شيء صلد لا ينفع، فقد قال: "إن النفي أحق بالعموم وأدل عليه والمراد بالمَنّ المنّ على الفقير وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) المراد به المنّ على الله والأذى للفقير"(الآلوسي، ١٤١٥، ج٢، ص٣٤)، وبهذا يتحول السياق إلى مدلول تفسيري.

وبهذا نرى أن السياق عند المفسرين الشيعة جاء لعدم النفعية من الصدقة المتبعة بالمنّة وافترق الطباطبائي والمدرسي في خروج التشبيه لدلالة النهي عن المنّ عند التصدق وضياع أجر المتصدق المانّ المؤذي.

ومن الصور التشبيهية التي جاء بها القرآن الكريم قوله تعالى: "**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**"(سورة الصافات: ٦٤-٦٥).

فقد ورد في هذه الآية التشبيه بـ(كأن) التي تدخل على المشبه أو يليها المشبه(عتيق، ص٧٨)، وهذا التشبيه قد فهم من خلال السياق الفقهي، ويأتي سياق هذه الآية في الحديث عن التشبيه التخييلي؛ أي تشبه المجهول بالمجهول، لأن الصورة الذهنية للشيطان موجودة في مخيلة السامع وهي مُدركة، فقد كانت العرب تقول في تشبيه من تستقبحه: كأنه الشيطان، وفي تشبيه من تستحسنه: كأنه ملك، وفي سبب نزول هذه الآية: "أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أبو جهل زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: "**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**"، وأخرج نحوه عن السدي"(السيوطي، ٢٠٠٢، ص٢٢٠).

واعتمد النهاوندي على السياق في تفسير دلالة هذا النص القرآني، لأن السياق هو سياق تخويف؛ فلهذا جاءت رؤوس الشياطين متخيلة إذ قال: "إنه تشبيه بالمُخيل فإن الناس يتخيلون أن صورة الشياطين أقبح الصور وأكرهها"(النهاوندي، ١٤٢٩، ج٥، ص٢٩٩).

واتفق معه محمد الصادقي في أن السياق جاء للتخيل والتخويف إذ قال: "صحيح أن الناس لا يعرفون رؤوس الشياطين ولكنها مفزعة كما الشياطين ومجرد تصورها في غيبها يثير الفزع والجزع فكيف إذا كانت طلعاً يتطلع لطالع أكلها وإذا كان طلعها كأنه رؤوس الشياطين فماذا – إذاً – سائرها الذي أُجمل عنه"(الصادقي، ١٤٠٧، ج٢٣، ص١٦٢).

ونرى أن محمد النقوي يخرج النص من طابع التخيل ويرجعه إلى طابع تشبيه الحسي بالحسي حينما يرى أن الله سوف يشوه رؤوس الشياطين في النار لذا فقبح صورهم حقيقي – على زعمه – وليس خارجا إلى التخيل إذ قال: "قد دل الله أن يشوه خلق الشياطين في النار حتى لو رآهم راءٍ من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش فلذلك يشبه برؤوسهم"(النقوي، ١٣٩٥، ج٢٣، ص٣٤٣).

وأشار السيد المدرسي إلى أن السياق هنا جاء يدل على القبح إذ قال: "لعل هذه الحالة من النهم إلى الزقوم والحميم في النار تجسيد لنهمهم في الدنيا بأكل أموال الحرام ومداومة الشراب الحرام"(المدرسي، ١٤١٩، ج٨، ص٣٧).

واتفق الشيخ مكارم الشيرازي معهم على أن السياق هنا يدل على القبح إذ قال: "إن التشبيه هنا استخدام لبيان شدة قباحة ثمار الزقوم وشكلها الباعث على النفور والاشمئزاز"(الشيرازي، ١٤٢١، ج١١، ص٢٦٣).

ومما تقدم نرى أن السياق في هذه الآية عند المفسرين الشيعة يدل على التشبيه الخيالي لبيان قبح شجرة الزقوم ولإثارة الرعب والفزع في ذهن المتخيل، وسمي بالخيالي لأن لا أحد يعرف شكل شجرة الزقوم وشكل رأس الشياطين.

وقد وظف القرآن الكريم التشبيه بالأسماء أيضا في سياق فقهي فقد قال تعالى: "**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**"(سورة البقرة: ٢٧٥).

فقد جعل السيد عبد الله شبر السياق وسيلة لتعظيم أكل الربا من خلال عامل التشبيه إذ قال: "قاسوا البيع بالربا وعكس التشبيه مبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع"(عبد الله شبر، ١٤١٢، ج١، ص٨٢).

أما محمد جواد مغنية فقد جعل عكس التشبيه سياقا دالا على تحريمه من خلال الاختلاف والابتعاد فهما غير متناسبين وبينهما بعد إذ قال: "إن مجرد تماثلهما في الظاهر لا يستدعي أن يكونا كذلك في الواقع فإن البيع عملية تجارية نافعة والربا استغلال محض وأخذ للزيادة من غير مقابل ومن أجل هذا أحل الله البيع وحرم الربا فاختلافهما حكماً عند الله دليل على اختلافهما واقعاً وكذلك العكس"(مغنية، ١٤٢٤، ج٣، ص٤٣٦).

وأكد السيد الطباطبائي أن التشبيه هنا جاء للتشديد على تحريم الربا وعدم مساواته بالبيع فقال: "وسياق الآية يدل على أن المسلمين ما كانوا ينتهون عن النهي السابق عن الربا بل كانوا يتداولونها بينهم بعض التداول فأمرهم الله بالكف عن ذلك وترك ما لغرماء في ذمة المدينين من الربا"(الطباطبائي، ١٤١٧، ج٢، ص٤١٥).

واتفق معه الشيخ محسن قراءتي في التشديد على تحريم الربا والتعامل به إذ قال: "لقد حمل الإسلام بشدة على أكل الربا المعطي والمعطى منذ بداية ظهوره ... وأن الربا كان محرماً حتى في الديانة اليهودية وقد ورد في التوراة تحريمه"(قراءتي، ج١، ص٤١٩).

ونبه الشيخ مكارم الشيرازي إلى أن السياق هنا جاء للدلالة على الحرمة الشديدة في منع الربا ولم يخرج عن ما ذكر آنفاً، فقال: "هذه الآيات شديدة وحريصة في منع الربا فتعاطي الربا يزيد من الفواصل الطبقية ويركز الثروة في أيدي فئة قليلة ويسبب فقد الأكثرية والإنفاق سبب طهارة القلوب والنفوس واستقرار المجتمع، وللربا سبب البخل والحقد والكراهية والدنس"(الشيرازي، ١٤٢١، ج٢، ص١٥٢).

أما الشوكاني فقد جعل عكس التشبيه للمبالغة وذلك عن طريق جعل الفرع أصلاً إذ قال: "إنهم جعلوا البيع والربا شيئاً واحداً وإنما شبهوا البيع بالربا مبالغة بجعلهم الربا أصلاً والبيع فرعاً، أي: إنما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فإن العرب كانت لا تصرف ربا إلا ذلك فرد الله سبحانه عليهم أن الله أحل البيع وحرم نوعاً من أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا"(الشوكاني، ١٤١٤، ج١، ص٣٣٩).

واختلف الآلوسي عنهم وفهم السياق على أنه سياق طبيعي وأن التشبه غير معكوس فهم آمنوا بأن الربا أصل البيع ووسيلة للتجارة إذ قال: "أرادوا نظمهما في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فحيث حل بيع ما قيمته بدرهمين حل بيع درهم بدرهمين إلا أنهم جعلوا الربا أصلاً في الحل وشبهوا البيع به للمبالغة، وقيل: يجوز أن يكون التشبيه غير مقلوب بناء على ما فهموه أن البيع إنما حل لأجل الكسب والفائدة وذلك في الربا متحقق وفي غيره موهوم"(الآلوسي، ١٤١٥، ج٢، ص٤٩).

وبهذا نرى السياق في هذه الآية عند المفسرين الشيعة أنها جاءت لتأكيد حرمة الربا والتشديد على التعامل به وليست للتشريع الابتدائي أي أن هناك آيات سابقة نهت عن الربا ولكن المسلمين لا ينتهون عن التعامل به وهذه الآية أمرتهم بترك الربا ونهتهم عن التعامل به ونجد أن أغلب المفسرين الشيعة جعلوا الربا أصلاً والبيع فرعاً أي عكس التشبيه للمبالغة والتأكيد على شدة التحريم.

ومن الصور التشبيهية التي ظهر فيها أثر السياق الفقهي من خلال التشبيه المفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه (الهاشمي، ٢٠١٧، ص٢٣٥)، في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**" (سورة الصف: ٤).

فقد جعل الفيض الكاشاني السياق وسيلة لفهم المجاز لأن البنيان المرصوص هو غاية للاستحكام حيث قال: "مصطفين في تراصهم من غير فرجة، والرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه"(الكاشاني، ١٤١٨، ج٥، ص١٦٨)، وهذا ما ذهب إليه السيد عبد الله شبر حيث قال: "لصق بعضه ببعض مستحكم"(عبد الله شبر، ١٤١٢، ج١، ص٥١٥).

وزاد الآلوسي أنه أراد الاستواء، وقد فُهم ذلك في السياق؛ فالبنيان المرصوص عنده غايته الاستواء وأطلقها على النية، فقد قال: "المراد استواء نياتهم في الثبات من يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص"(الآلوسي، ١٤١٥، ج١٤، ص٢٧٨).

واستعان محمد جواد مغنية بالسياق المعجمي وجعل المرصوص تدل على الرصاص وهو معدن قوي وكأنه بني به ولهذا حسره بالدوام والقدرة، فقال في بيان معنى (**مَرْصُوصٌ**): "أي محكم ثابت كأنه بُني بالرصاص ... ومن نافلة القول: إن الله سبحانه يحب تماسك الجماعة وتعاضدها في كل ما يعود عليها بالخير والصلاح"(مغنية، ١٤٢٤، ج٧، ص٣١٣).

وأشار محمد الصادقي إلى أن التنبيه جاء يفيد التضامن والنظام فقال: "لا قتال في سبيل الله إلا في تضامن عن قيادة ونظام بين الجماعة المسلمة داخل صفوف متراصة: برية وبحرية وجوية متضامنة منظمة كل مع بعض"(الصادقي، ١٤٠٧، ج٢٨، ص٣٠١).

وأكد السيد المدرسي أن التشبيه هنا جاء للوحدة والتماسك، فقال: "فوحدتهم ظاهرة كالبنيان المتصل ببعضه وهي حقيقة لأنها متينة في الواقع فليست كأي بناء إنّما كالبنيان المتماسك تماسكاً متيناً وقيل: كالبنيان المنني بالرصاص"(المدرسي، ١٤١٩، ج١٠، ص٣٤٣).

ونبه محسن قراءتي إلى أن التشبيه جاء لشدة التماسك وإحكام الصفوف عند القتال فقال: "والمراد من الآية تشبيه متانة الصفوف بالبناء الذي بُني بالرصاص في شدّة تماسكه وإحكامه"(قراءتي، ج٩، ص٥٩٠).

وربط مكارم الشيرازي التشبيه هنا بالاتحاد والانسجام والتجانس والوحدة، فقال: "والمقصود هنا أن يكون وقوف وثبات المجاهدين أمام العدو قوياً راسخاً تتجسد فيه وحدة القلوب والأرواح والعزائم الحديدة والتصميم القوي بصورة تعكس أنّهم صفّ متراصّ ليس فيه تصدّع أو تخلخل"(الشيرازي، ١٤٢١، ج١٨، ص٢٧٩).

ومما تقدم من آراء مفسري الشيعة تبين أن السياق هنا جاء يتحدث عن أحد التعاليم الإسلامية التي افتقدناها واندثرت في الوقت الحالي، فقد تحدثت الآية المباركة عن وقوف المسلمين في الجهاد بثبات وتراص متوحدين في القلوب يشكلون سورا محكما وقويا يعكس للمقابل صورة عن مدى الانسجام وصعوبة افتراق هذا السور وهذا التشبيه غاية في الجمال والروعة.

ومن أمثلة التشبيه التي وردت في السياق الفقهي في القرآن الكريم قال تعالى: "**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**" (سورة القلم: ٣٥).

قال وهبة الزحيلي في سياق هذه الآية (تشبيه مقلوب ليكون أبلغ وأروع لأن الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والثواب؟)(الزحيلي، ج٧، ص٣٤).

وقد أرجع العاملي السياق في التشبيه إلى الاستفهام الإنكاري لزعم الكافرين تساويهم مع المؤمنين في الجزاء حيث قال: "إنكار لقولهم إن بعثنا كما يزعم المسلمون نعطى أفضل منهم كما في الدنيا أو نساويهم"(العاملي، ١٤١٣، ج٣، ص٣٥٥).

وقال السيد الطباطبائي إن سياق الآية يحمل معنيين "أحدهما: أن تكون مسوقة حجة على المعاد كقوله تعالى: (**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**)(سورة ص: ٢٨)، والثاني: أن تكون رداً على قول من قال منهم للمؤمنين: لو كان هناك بعث وإعادة لكنا منتقمين كما في الدنيا، وقد حكى سبحانه ذلك عن قائلهم: (**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى**)(سورة فصلت: ٥٠)، والتدبر في السياق يعطي أن الآية مسوقة لرد دعواهم التساوي؛ لكن لا من جهة نفي مساواتهم على إجرامهم للمسلمين بل تزيد على ذلك بالإشارة إلى أن كرامة المسلمين تأبى أن يساويهم المجرمون"(الطباطبائي، ١٤١٧، ج١٩، ص٣٨١).

وفهم محمد الصادقي من السياق أن التشبيه هنا جاء برهانا عقليا بطريقة السؤال لضرورة المعاد والحساب حيث قال: "نستوحي من الآية وأشباهها أن هناك زعماً خاطئاً من المجرمين يزعمونهم كأنهم الأصل في المعاد الحساب، والمعاد: إن الله يعامل المسلمين كما يعامل المجرمين سواء، كان صناديد يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين فيها فقاسوا بها الآخرة قائلين: إن صح أنا نبعث كما محمد يزعم لم تكن حالنا إلا كحالهم سواء أو أحسن فخطئهم الله فيه"(الصادقي، ١٤٠٧، ج٢٩، ص٧٢).

ونبه الشيرازي إلى "أن التشبيه هنا جاء لتوبيخ قسم من المشركين على ادعائهم بعلو المطيع والمجرم، المؤثر والمستأثر واحدة متساوية؛ خاصة عندما تكون المسألة عند آله جعل كل مجازاته وفق حساب دقيق"(الشيرازي، ١٤٢١، ج١٨، ص٥٤٧).

الخاتمة

يدلّ السياق على الاتّصال والتسلسل والتتابع والاتّساق؛ أي: تتابع الألفاظ الواردة في سياق واحد في المعنى؛ فلا تفسَّر لفظة بمعنى يتناقض مع تركيبها، وإنّ للسياق وظيفة مهمّة في فهم النصوص القرآنيّة، وتحرّي مقاصد الألفاظ والتراكيب القرآنيّة وبيان معانيها، والسياق هو الذي يكشف عن غموض المعنى ويوجّهه

ومصطلح الشريعة يطلَق على كلّ المسائل والأحكام العقائديّة والفقهيّة التي تنظّم حياة العباد، وهذا التقسيم كان من مقتضيات التبويب، فالمنهج يتألف من كلّ هذه المسائل وهي تؤلّف شريعة الله، والعقيدة هي الاعتقاد بالدين الاسلامي شريعة وعقيدة وهي ان تعقد قلبك على ما كلف الله به عباده بالدليل واليقين، أما الفقه فهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من الادلة التفصيلية لتلك الاحكام فدخل فيه بالعلم جميع العلوم وخرج بالأحكام العلم بالذوات والصفات والافعال.

وقد ورد التشبيه في القرآن الكريم في السياق التشريعيّ، وقد كان السياق التشريعيّ هو الكاشف لهذا التشبيه والمبيّن له، وهذا الكشف قد وجدناه عند مفسّري القرآن الكريم من الشيعة في عدد كبير من الآيات القرآنيّة التي وردت في السياق التشريعيّ في القرآن الكريم.يدلّ السياق على الاتّصال والتسلسل والتتابع والاتّساق؛ أي: تتابع الألفاظ الواردة في سياق واحد في المعنى؛ فلا تفسَّر لفظة بمعنى يتناقض مع تركيبها.

المصادر

القرآن الكريم.

- القنوجي(صديق بن حسن ت ١٣٠٧هـ – ١٨٨٩م)، أبجد العلوم، أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م.
- الكاشاني (المولى محسن الفيض)، الأصفى في تفسير القرآن، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم ١٤١٨هـ.
- الكليني(محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، منشورات الفجر، الطبعة الأولى بيروت ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- البلاغي (محمد جواد النجفي)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، ط ١ قم ١٤٢٠ هـ.
- الشيرازي (ناصر مكارم)،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(ع)، قم ، الطبعة الأولى، قم ١٤٢١هـ.
- القزويني(محمد بن عبد الرحمن ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٣م–١٤٢٤هـ.
- الطيبي(شرف الدين)، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تحقيق: هادي عطية مطر الهلالي.
- ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ_١٩٦٤م.
- ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف.
- شبر (عبد الله)، تفسير القرآن الكريم، دار البلاغة للطباعة والنشر، ط١، بيروت ١٤١٢ هـ.
- مغنية(محمد جواد)، تفسير الكاشف، دار الكتب الإسلامية، ط١، طهران، ١٤٢٤ هـ.
- الزحيلي(وهبة مصطفى)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.
- قراءتي(محسن)، تفسير النور.
- المشهدي(محمد بن محمد رضا القمي)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، طهران ١٤٠٩هـ.
- فضل الله(محمد حسين)، تفسير من وحي القرآن دار الملاك للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت ١٤١٩هـ.
- الشيرازي(محمد الحسيني) تقريب القرآن إلى الأذهان، دار العلوم، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٤هـ.
- الهاشمي(أحمد)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المملكة المتحدة، ١٠٥٨٥٩٧ بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٦ ، مؤسسة هنداوي سي آي سي.
- العرياني(عثمان الكليبي ت ١١٦٨ هـ)، خير القلائد شرح جواهر العقائد، دار الكتب.
- الآلوسي(محمود)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- النقوي(محمد تقي القايني)، ضياء الفرقان في تفسير القرآن، كوهر انديشه ،الطبعة الأولى، طهران ١٣٩٥هـ –١٤٣٦م.
- السبكي(بهاء الدين)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.
- عتيق، عبد العزيز، علم البيان في البلاغة العربية.
- الشوكاني(محمد بن علي)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- الصادقي، محمد الطهراني، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، منشورات الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، قم ١٤٠٧هـ.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، القاهرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- الكفوي(أبو البقاء ت١٠٢٤هـ)، الكليات، وضع فهارسه: د. عدنان درويش، محمد المصري، موسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
- السيوطي(جلال الدين ت٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر، مصر، الطبعة الثانية.
- ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الطهراني، مير السيد علي الحائري، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين، الطبعة الأولى، طهران ١٤١٩هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٢٠هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، قم ١٤١٧هـ.
- النهاوندي، محمد بن عبد الرحيم، نفحات الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة – قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ق.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د. مفيد قميحه، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٣هـ.
- العاملي، علي بن الحسين، الوجيز في تفسير القرآن العزيز، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، قم ١٣١٧- ١٤١٣هـ.
- دخيل، علي محمد علي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٢٢-١٣٤٧هـ.